صلى الله عليه وسلم والخطاب ضمنا لامته كما صرح به في قوله
تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وفي المثل الكلام
لك ياجاره واسمعي يا كنه والمومن كيس فطن واشار بقوله
بدئي الى افتتاح وجوده الذي نشأ عنه تاليف كتابه اذ التاليف
والتصنيف يستدعي وجودا والوجود على قسمين يبتدا به
ويفتتح وهو وجود الكائنات باسرها التي من جملتها المصنف
وغيره ووجود غير مبتدا به ولا مفتتح وهو وجود الحق
المكتون المبدي المعيد ويعبر عن الوجود الاول بالقيد والثاني
بالمطلق وان شئت عبرت عن الاول بالحادث وعن الثاني
بالقديم وان شئت قلت الممكن في الاول والواجب في
الثاني وان عبرت عن الاول بالخلقي والثاني بالحقي فذلك واحد
والمعنى في الجميع واحد واشار بدئه الى حدوث الارواح
الكائنة في الاشباح وعدم قدمها خلافا للفلاسفة وتقابله
بقدم الروح الخلقي فهو ملحد الا ان يقصد بذلك قدمها باعتبار
تعلق العلم القديم بها وحينئذ فلا فرق بينها وبين غيرها
من الممكنات كلها اذ كل فرد من افرادها كان موجودا بالقوة في
العلم القديم ويوخذ من قوله بدئي بسم الله اي بانه تعالى
لا مبدا له ولا مبتدا الوجوده واشار لك بذلك الى قاعدة
عظمى من علم السلوك وهي معرفة الله تعالى باوصافه الكمالية

اذ

اذ لا يكون مبدئيا لشيء الا وهو سابق قديم قبل ذلك الشيء
عليم به قادر عليه مريد له سميع به بصير متكلم بقوله كن كما
قال انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون ثم قال
هذا البدء نعمة منه ومنة برزت عن محض جوده وفضله
فوجب ان يكون ممحوا بالحمد المقدم لفظا الموخر معنى واشار
بذلك الى شكره على كلا النعمتين الايجادية والامدادية وبالهما
من نعمتين ما خلا موجود منهما ولا بد لكل ممكن عنهما فوجب حينئذ
على كل فرد من الافراد الكونية القيام بوظيفة الشكر عليهما لا جرم
قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده والتسبيح ثناء والتحميد
شكر فالكل شاكر والكائنات كلها طوعا وكرها تبارك الله رب العالمين
هذا ان جعلت قوله بدئي بمعنى ابتدا وجودي وان جعلته
بمعنى ابتدا هذا النظم كما هو الاقرب الى السياق ففي طي ذلك الاشارة
الى التبري من الحول والقوة ممحوا بالحمد والثناء على نعمة العلم
التي هي اجل النعم بعد الايمان فيكون حمدا على شكر يقتضي المزيد
وهو في ذلك متعبد لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بطلب المزيد من العلم حيث قال وقل رب زدني علما يعني بك فانه
كلما ازداد معرفة بالله كلما ازداد حبا وكلما ازداد حبا ازداد
عشقا وطلبا وكلما ازداد عشقا وطلبا ازداد منه قربا
وكلما ازداد منه قربا ازداد به علما وداراللدور ابدالآباد

Copyright © King Saud University